سلسلة إصدارات مركز المحتسب للاستشارات (٨)

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القرآن

رؤية في تحديد المقاصد والوسائل

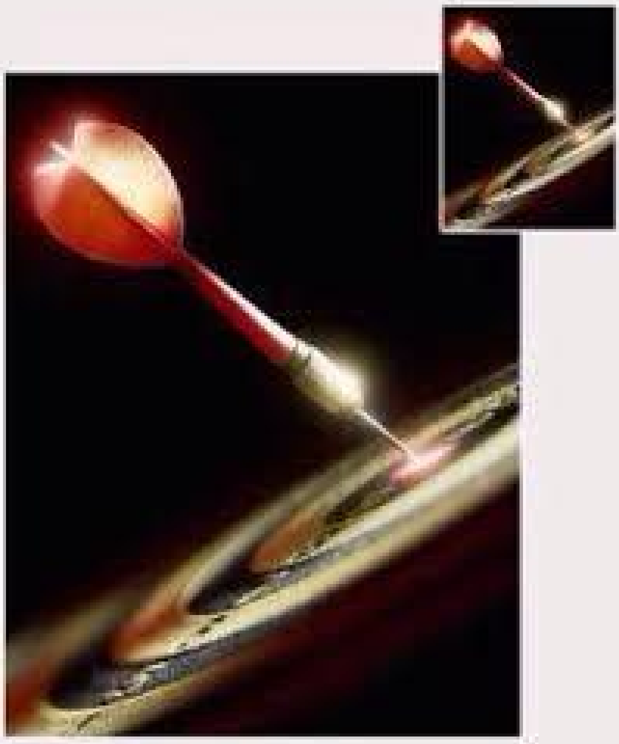

د. عويض بن حمود العطوي

بسم الله الرحمن الرحيم

ح عويض حمود العطوي ، ١٤٣٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العطوي، عويض حمود

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القرآن: رؤية في تحديد المقاصد والوسائل. / عويض حمود العطوي - الرياض، ١٤٣٢هـ

٨٤ص؛ ١٤ × ٢٠ سم

ردمك: ٣- ٧٣٥٧ - ٠٠ -٦٠٣-٩٧٨

١ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. أ. العنوان

ديوي ٢١٩ ١٤٣٢/٤١١٧

رقم الإيداع: ٤١١٧/ ١٤٣٢

ردمك :٣- ٧٣٥٧ - ٠٠ -٦٠٣-٩٧٨

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القرآن

(رؤية في تحديد المقاصد والوسائل)

د. عويض بن حمود العطوي

عميد البحث العلمي بجامعة تبوك

١٤٣٠-١٤٣١هـ

مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فنظراً لعظم شأن شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وظهور ذكرها في كتاب الله عز وجل؛ فقد رأيت أن تتخصص هذه الدراسة في النص القرآني، مع التركيز على أهم الآيات الواردة في موضوع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ولما كانت الأهداف هي أهم ما يسعى له المخططون، والباحثون عن النجاح كان التركيز في هذه الدراسة على مقاصد هذه الشعيرة، والوسائل التي يمكن أن تسهم في تحقيقها، وتظهر أهمية ذلك فيما يأتي:

- **أن تحديد المقاصد يسهم في فهمٍ أعمق للعمل المراد فعله والقيام به.**
- **أن تحديد المقاصد يوحِّد الجهود ويثمر التعاون لتحقيق أعلى قدر منها.**
- **أن تحديد المقاصد يساعد على اختيار الوسائل المناسبة لها.**

ولا يعني دراسة هذه الآيات بهذا المفهوم استيعاب كل المقاصد بالضرورة، بل المراد محاولة استثمار دلالة الآيات القرآنية في تحديد ما يمكن من تلك المقاصد، ولفت النظر إلى

الاهتمام بهذا الأمر .

ولما كانت الدراسة مختصة بالنص القرآني كان لا بد من جعل التفاسير هي المرجع الرئيس في ذلك، مع محاولة استنباط ما يدل على المقاصد والوسائل من خلال تلك الآيات، ولتحقيق ما سبق: فقد اتبع الباحث المنهج التحليلي القائم على استثمار دلالة الألفاظ والسياقات المقالية والحالية التي تكتنف النص المدروس؛ بغية الوصول إلى الهدف المنشود، وما هذا العمل إلا محاولة لفت النظر إلى هذا الجانب في هذه الشعيرة من خلال النص القرآني، واستثمار دلالات الألفاظ والتراكيب والسياقات، لفهم مجالات أوسع لهذه الشعيرة.

فإن وفقت لذلك فهو المراد، وإلا فحسبي المحاولة والله المستعان.

وأسأل الله أن يوفق الجميع لكل خير.

الباحث:

د. عويض بن حمود العطوي

عميد البحث العلمي بجامعة تبوك

Dr.ahha@gmail.com

نظرة عامة حول الآَيات

بالنظر العام لآيات الاحتساب، نجد أنَّ أول ما جاء في القرآن من حيث وُرود الأمر والنهي هو الأمر بالمعروف دون ذكر النهي عن المنكر، وذلك في قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿**أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ**﴾ [البقرة: ٤٤]، وكأن في ذلك إشارة إلى ضرورة القدوة فيمن يتصدى لأمر الناس بالخير، فلا بد أن يكون مِن أسرعهم إلى فعله، وهذا هو العقل بعينه؛ لذا ختمت الآية بـ﴿**أَفَلاَ تَعْقِلُونَ**﴾.

ثم نجد الآيات تتحدث عن الاعتصام والالتحام والاجتماع: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾ [آل عمران: ١٠٣].

فنجد بوضوح الدعوة للاجتماع والاعتصام بحبل الله المتين، ونهيٌ واضح عن التفرُّق، ولفتٌ للأنظار إلى نعمة التآلف والأخوة، وأنَّ كل ذلك يحملنا على رحمة بعضنا، ومحاولة إنقاذ مَن يعرِّض نفسه للنار، ثم يذكر سبحانه الهداية، وكأن في ذلك

إشارة إلى أنَّ هذا هو السبيل الصحيح للقيام بهذه الشعيرة.

بعد ذلك يأمر سبحانه بأن تتصدى لهذه المهمة العظيمة أمَّة من المسلمين، فيقول سبحانه: ﴿**وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ**﴾ [آل عمران: ١٠٤]، ويحدد سبحانه مهمتها في الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويأتي تأكيد مقصد التعاون والاتفاق ونبذ الفرقة في التعقيب على تلك الآيات في قوله تعالى: ﴿**وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ**﴾ [آل عمران: ١٠٥]، وبعدها بآيات قلائل نجد تأكيداً على هذا المبدأ في قوله تعالى: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾ [آل عمران: ١١٠].

وصيغة الماضي كأنها تشير إلى أنهم انصاعوا للأمر الأول ﴿**وَلْتَكُنْ**﴾، وتلبَّسوا بهذه الشعيرة، فأصبحوا خير الأمم بها، يقول ابن عاشور: "فمعنى (كنتم خير أمة): وجدتم على حالة الأخيرية على جميع الأمم ، أي: حصلت لكم هذه الأخيرية بحصول أسبابها ووسائلها، لأنَّهم اتَّصفوا بالإيمان، والدَّعوة

للإسلام، وإقامته على وجهه، وذب النقصان عن والإضاعة لتحقُّق أنَّهم لَمَّا جُعل ذلك من واجبهم، وقد قام كُلٌّ بما استطاع، فقد تحقَّق منهم القيام به، أو قد ظهر منهم العزم على امتثاله، كُلَّما سنح سانح يقتضيه، فقد تحقَّق أنهم خير أمَّة على الإجمال فأخبر عنهم بذلك"[١]

ونلحظ التعميم في كلمة ﴿**النَّاس**﴾، وتقديم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الإيمان بالله، كأن فيه إلماحًا إلى أنَّ هذه الشعيرة إذا أُدِّيت على ما أراد الله من الرفق واللِّين، والدعوة إلى الخير والفضل؛ كانت سببًا في الإيمان بالله، وكأنه يشير إلى ذلك ما جاء بعدها مِن قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾، وذِكْر الإيمان يشير إلى سعة مدلول المعروف، وأنه شرائع الإسلام كلها، وضده المنكر الذي هو الكفر، "فمن رسالة هذه الأمة ألا تحتجز الخير لنفسها، ولا تستأثر به حين يقع ليدها، بل تجعل منه نصيبًا تبرُّ به الإنسانية كلَّها، وتشرك الناس جميعًا معها فيه"[٢].

(١) التحرير والتنوير: (٤ / ٤٩).
(٢) التفسير القرآني للقرآن: (٢ / ٤٠).

ثم يأتي التأكيد الآخر على هذه الشعيرة بعدها بآيات قلائل في قوله تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ * يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١١٣-١١٥].

ونجد في هذه الآيات لفت الأنظار إلى العدل في تقييم الناس، فحتى لو كانوا فاسقين فليحذر المؤمنون من التعميم، فأهل الكتاب ليسوا سواءً، فكما أنَّه مطلوب أن تقوم أمة منكم بهذه الوظيفة فيوجد: ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ* يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

وهنا نجد أنَّ الإيمان تَقدَّم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكأنَّ في ذلك إشارة إلى الصنف الآخر الذي استجاب لأمر الله، فهو مؤمن في الأصل، وهو يقوم بهذه الشعيرة، ونلحظ أيضًا أنَّ هذه الشعيرة لم تنفصل عن غيرها من الفضائل

والأعمال (تلاوة آيات الله، السجود، الإيمان بالله واليوم الآخر، المسارعة في الخيرات) ثم خُتِم كل ذلك بوصف الصلاح ﴿وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾، وجاء عقب ذلك تعميم لفعل الخير ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾.

ونجد الأمر بالمعروف في قوله تعالى: ﴿لاَ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤]، ولا نجد ذكرًا للنهي عن المنكر، وهذا قد يشير إلى أنَّ فعل المعروف أوسع بابًا من النهي عن المنكر؛ لأنه مرتبط بوجوده، وفي هذه الآية توجيه لتسخير الكلمة في النافع المفيد، الذي منه الأمر بالمعروف، وهذه المذكورات الثلاث - الأمر بالصدقة، والمعروف، والإصلاح بين الناس - تشترك في أنَّ نفعها متعدِّد، فكما أنَّ الصدقة نافعة وجالبة للمحبة، وجامعة للناس، وكذلك الإصلاح؛ فينبغي أن يكون الأمر بالمعروف في الركاب نفسه، ويحقق الغاية ذاتها.

وقد بيَّن سبحانه أنَّ الإخلاص في مثل هذه الأعمال مهمٌّ، فيبتعد الإنسان عن الانتصار لنفسه، وإظهار فضله، بل يجعل

كل ذلك ابتغاء مرضات الله، فإن فعل فله الأجر العظيم.

وبيَّن جلَّت قدرته خطورة التعاون على المنكر، وأنَّ ذلك أوجب اللعن لمن فعل ذلك في أمم سبقت، قال تعالى: ﴿**لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ**﴾ [المائدة: ٧٨، ٧٩]، ويظهر أنَّ شناعة الفعل هنا أنَّ المنكر بينهم، وأنهم يفعلونه فلا ينهى بعضهم بعضًا، وفي هذا من تحميل الأمانة للإنسان في تغيير المنكر -ولو وقع فيه- ما لا يخفى.

ويوجِّه الخالق الحكيم -سبحانه- إلى أنه ينبغي على المتصدي لهذا الأمر ألاَّ يحمِّل نفسه فوق طاقتها، فإذا قام بالواجب فلا يضرُّه مَن ضلَّ بعد ذلك: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ [المائدة: ١٠٥].

وبهذا يوجِّه الله نبيه ﷺ :﴿**فَلاَ تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ**﴾ [فاطر: ٨]، ﴿**فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا**﴾ [الكهف: ٦]،

﴿إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَّ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦]، ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلاَّ الْبَلاَغُ﴾ [الشورى: ٤٨]، ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ﴾ [المائدة: ٩٩].

وبيَّن سبحانه أنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس بالضرورة على أمر واقع، بل إنَّ الحديث عن الخير والحث عليه هو أمرٌ بالمعروف، وكذلك الحديث عن السوء والتنفير منه، فهو نهيٌ عن المنكر، وهو في الحقيقة سلوك يُمدَح به صاحبه؛ ولهذا عُرِّف به النبي ﷺ، يقول سبحانه: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، وبهذا ندرك أنَّ مفهوم هذه الألفاظ عائد إلى ما يتبادر منها عند ذكرها، وإلا لم تكن أداة للتعريف لو كانت تحمل مدلولاً غير ما يعرفه المخاطبون، يقول ابن عاشور: "وقد جعل الله المعروف والمنكر، والطيبات، والخبائث، والإصر والأغلال متعلقات لتشريع النبي الأميِّ وعلامات، فوجب أن يكون

المراد منها ما يتبادر من معاني ألفاظها للأفهام المستقيمة، فالمعروفُ شامل لكل ما تقبلُه العقول والفطر السليمة، والمنكر ضده"[(١)].

ومما يؤكد ذلك أنَّ الله سمَّى ذلك وعظًا في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٤]، وقد أشارت هذه الآيات إلى عظم جرم القوم إلى درجة أنهم وصفوهم بقولهم ﴿قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ [الأعراف: ١٦٤]، وذُكِر مع هؤلاء لفظ الوعظ لا الأمر، وفرقٌ بين الأمرين، مما يرشد إلى ضرورة الرفق واللطف؛ لأن المقصود هو الإعذار عند الله، ورجاء صلاحهم مهما عظم جرمهم.

وبيَّن الله سبحانه أنَّ القيام بهذه الشعيرة هو من صور الولاية المقتضية للمحبَّة والنصرة، وذكر ذلك مع المؤمنين، ولم يذكر ذلك مع المنافقين الذين يفعلون ضدَّ ذلك، فقال سبحانه عنهم: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [التوبة: ٦٧]، وقال عن المؤمنين بعدها بقليل:

(١) التحرير والتنوير: (٩/ ١٣٤).

﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ [التوبة: ٧١].

فذَكَر الولاية مع المؤمنين ولم يذْكُرها مع المنافقين، وفي هذا تأكيد لما ذكرناه سابقًا من مقصد التعاون والتكاتف والتآلف، وأثنى سبحانه على المؤمنين بصفات عديدة، ومنها هذه الشعيرة، فقال سبحانه: ﴿**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [التوبة: ١١١-١١٢].

وهذا يؤكد ما ذكرناه سابقًا من ضرورة اتصاف القائمين بهذه الوظيفة الشريفة بالصفات الأخرى المذكورة معها، وهي هنا: (التوبة، العبادة، الحمد، السياحة [١]، الركوع، السجود،

(١) والمراد بالسياحة عند الأكثر الصيام، وقيل الخروج للجهاد، انظر تفسير ابن كثير: (٧/ ٢٩٢) وما بعدها.

الحفاظ على حدود الله)، وكأنَّ كثرة هذه الصفات التي تكتنف الأمر بالمعروف تشير إلى ضرورة السعي لإشاعة الخير في الناس، وهذا كفيل بتقليل المنكرات.

ونجد في سورة هود توجيهًا ربَّانيًّا بالدعوة لفعل الحسنات، وأنها سبيلٌ لإذهاب السيئات، وهذا علاج مهمٌّ لوجود المنكرات، قال تعالى: ﴿**وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ * وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [هود: ١١٤، ١١٥].

جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني عالجت امرأة في أقصى المدينة، وإني أصبت منها ما دون أن أمسها، وأنا هذا، فاقضِ فيَّ ما شئت. فقال له عمر: لقد سترك الله لو سترت على نفسك! فلم يرد عليه رسول الله ﷺ شيئاً، فانطلق الرجل فأتبعه رسول الله ﷺ رجلاً فدعاه فتلا عليه: ﴿**وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ**﴾ إلى آخر الآية، فقال رجل من القوم: هذا له خاصة؟ قال: (لا، بل للناس كافة) [رواه الترمذي، وحسَّنه الألباني].

ثم جاء الحث والحض على ضرورة وجود فئة تنهى عن

الفساد في الأرض، وهي كلمة عامة تشمل كلَّ فساد، قال تعالى: **﴿فَلَوْلاَ كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾** [هود: ١١٦].

وبيَّن سبحانه أنّه لن يُهلِك القرى التي فيها مصلحون **﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾** [هود: ١١٧]، وتلحظ كيف ذكر قيد الظلم هنا ليلفت الأنظار إلى نوع خطير من المنكر قد لا يتنبَّه له كثير من العاملين في حقل الحسبة.

ثم يذكر سبحانه أنَّ اجتماع الناس على رأيٍ أو عمل لن يحصل، بل الاختلاف حاصلٌ منهم، قال تعالى: **﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾** [هود: ١١٨، ١١٩].

وبيَّن سبحانه في موضعٍ آخر أنَّ هذه الشعيرة هي من سمات الشاكرين لفضل الله، قال تعالى: **﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَّ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللهُّ وَلَوْلاَ دَفْعُ اللهِّ النَّاسَ**

بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾ [الحج: ٣٩ - ٤١].

فهم قد ظُلِموا وأُخرِجوا من ديارهم بغير حق، وهذا قد يدعوهم إلى الانتقام، ولكن الله سبحانه يثني عليهم بأنهم لا يفعلون ذلك، بل: **﴿إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي ٱلأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾**، فهم يُظهِرون هذه الشعيرة العظيمة (الصلاة)؛ لأنها تجمع، وفيها مِن رحمة الله بعباده ما لا يخفى، و بها تُكفَّر الذنوب، وتستر الخطيئات. و(يؤتون الزكاة)، ومعلوم ما فيها من العطاء والخير، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فلديهم توازن واضح بعد أن مكنهم الله، وأصبحت القوة في أيديهم.

وفي حالة فردية بيَّن لنا سبحانه وصية لقمان لابنه فيقول سبحانه: **﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ * وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ***

وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللهُ إِنَّ اللهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ * يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاَةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ * وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٣ – ١٩].

وتلحظ هنا كيف جاء الأمر بالمعروف مع الابن بأسلوب اللُّطف، وفي هذا توجيهٌ عمليٌّ في كيفية التعامل مع الناس، فلو عاملناهم كأبنائنا في هذه الشعيرة لتغيَّرت أمور كثيرة، وتلحظ ما صاحَب ذلك مِن وعظٍ لطيف، وتذكير بعظمة الخالق -سبحانه-، وتوجيه بِحُسْن التعامل مع الناس، وهذا بالضبط ما نحتاجه في هذه الشعيرة.

المقاصد

سنحاول في هذا المبحث تلمُّس المقاصد والأهداف العميقة لهذه الشعيرة؛ لأن معرفتها ووضوحها للقائمين بهذه الوظيفة مهمٌّ من جهتين، الأولى: **السعي لتحقيق تلك الأهداف والمقاصد**، الثانية: **اختيار السبل والطرق المُحقِّقة لذلك.**

ولستُ أدَّعي هنا أنني سأقوم بتحديد ذلك تحديدًا جازمًا، إنما هي محاولة المقصد منها لفت النظر إلى هذا الجانب من خلال الآيات القرآنية التي تناولت هذا الموضوع بصورة مباشرة، ولعل أهم المقاصد التي تكررت بوضوح ما يأتي:

أولاً: مقصد الاجتماع ونبذ الفرقة:

ويظهر ذلك في مثل قوله تعالى: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾ [آل عمران: ١٠٣].

فنجد أنَّ الآية التي تُعَدُّ عمدة في هذه الشعيرة قد سُبقت بالإشارة إلى هذه القضية المهمة، وذلك من خلال الدعوة إلى الاعتصام بحبل الله والتأكيد بـ﴿**جَمِيعًا**﴾ كما قال تعالى:

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾.

كما يظهر ذلك من خلال النهي عن الفرقة في صورة صريحة ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾، كما يتأكد ذلك من خلال التذكير بنعمة الله عليهم بإذهاب العداوة التي هي ضد الاجتماع، وأساس الافتراق ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾، وهنا إشارة إلى ذهاب العداوة وتصافي القلوب وقربها، وعبَّر عن ذلك بالتآلف ﴿وأَلَّفَ﴾، وكأنَّ هذا التأليف بين القلوب لا الأجساد، ومعلوم أنَّ الأجساد تبعٌ للقلوب في ذلك، وأنَّ البلاء إنما هو في القلب، فقال سبحانه: ﴿فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾، فعدَّه -جلَّت قدرته- نعمة عظيمة على المؤمنين أن يتذكروها دومًا، ويعملوا على حياطتها، فاجتماع الكلمة من أهم المقاصد في الشرع كلِّه، ورَتَّب سبحانه على ذلك حصول الأخوَّة التي هي أنصع وأجمل صور الاجتماع: ﴿فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾.

وهذا المعنى بعينه حُفَّت به هذه الآية الداعية إلى هذه الشعيرة ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، فقد جاء هذا المعنى في أولها من جوانب عدة كما رأينا، وجاء

بعدها مباشرة النهي عن مشابهة الذين تفرَّقوا بعد ما جاء سبب الاتفاق، وهو البيِّنات، فقال سبحانه: ﴿وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥]، "وفيه إشارة إلى أنَّ ترك الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر يفضي إلى التفرُّق والاختلاف؛ إذ تكثر النزعات والنزغات، وتنشقُّ الأمَّة بذلك انشقاقاً شديداً"(١).

ويظهر هذا المعنى في لفظ: ﴿أُمَّةٌ﴾ الذي تكرَّر مع هذه الشعيرة، فالمطلوب هو أن تكون الأمة كلُّها على هذا المبدأ، وبهذا تتَّحد في الهدف والمقصد، ذلك أنَّ قيامها الجماعي بهذه الشعيرة هو تجسيدٌ عمليٌّ لمبدأ الوحدة والبعد عن الفرقة، "قال القفال : "أصل الأمة الطائفة المجتمعة على الشيء الواحد، فأمة نبينا ﷺ هم الجماعة الموصوفون بالإيمان به، والإقرار بنبوته""(٢).

كما نجد هذا المعنى إذا قلنا: إنَّ "(الألف واللام) في لفظ ﴿الْمَعْرُوفِ﴾ ولفظ ﴿الْمُنْكَرَ﴾ يفيدان الاستغراق، وهذا يقتضي كونهم آمرين بكل معروف، وناهين عن كل منكر، ومتى كانوا

---

(١) التحرير والتنوير – (٤ / ٤٢).
(٢) التفسير الكبير – (٨ / ١٥٦).

كذلك كان إجماعهم حقاً وصدقاً لا محالة، فكان حجة"[1]؛ فإن ذلك يعني حصول ذلك منهم جميعاً، وهذا يؤدي إلى اجتماعهم على الخير والفضل.

ويمكننا أن نلمح هذا المقصد في قوله تعالى: ﴿**لاَ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾ [النساء: ١١٤]، فهو دعوة إلى جعل هذه الأمور الثلاثة (الصدقة، والأمر بالمعروف، والإصلاح بين الناس) من السلوكيات التي يوجَّه لها الكلام، الذي أكثر بلاء الناس منه، وبهذا تحصل الألفة، وفي هذه الأمور المذكورة من الخير للناس ما لا يخفى، وكان الأمر بالمعروف أحدها، بل أوسطها.

ثانيًا: مقصد إشاعة الخير وتكثيره:

ولعل هذا يظهر في مثل قوله تعالى عن أمة من أهل الكتاب: ﴿**وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ**﴾ [آل عمران: ١١٤]، فالمسارعة في الخيرات سمة عظيمة في المجتمع، إذا انتشرت في أوساطه

(١) التفسير الكبير – (٨/ ١٥٦).

قلَّت المنكرات، وتبارى الناس في الخيرات، والتعبير بالمسارعة ﴿**يُسَارِعُونَ**﴾ يُشعِر بالرغبة العظيمة في القيام بهذه الخيرات، ومَن كان هذا شأنه فلن يكون داعية سوء، وإذا رأى الناسُ الآمرين بالمعروف يفعلون ذلك اقتدوا بهم، وحذوا حذوَهم، فانتشر الخير وقلَّ الشر.

ويأتي التعقيب بعد ذلك مباشرة بقوله تعالى: ﴿**وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ**﴾ [آل عمران: ١١٥]، فهم يسارعون في الخيرات، وهم يَدْعُون إلى الخير، ومَنْ يفعل أيَّ جزء من الخير فلن يذهب سدًى، وتعظيمًا لشأن ذلك الخير وحثًّا عليه دخلت ﴿**مِنْ**﴾على كلمة (خَيْرٍ) ﴿**مِنْ خَيْرٍ**﴾.

ويؤيد هذا المبدأ مجيء الدعوة للخير قبل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في قوله تعالى: ﴿**وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ**﴾ [آل عمران: ١٠٤]، فالدعوة إلى الخير أحد أهم وظائف هذه الشعيرة؛ لأن إشاعته تعني إلف الناس له، وقيامهم به، وتنافسهم فيه.

والنفوس مجبولة على حب الخير، ونبذ الشر، وقد جاء ذكر المعروف والمنكر مع هذه الشعيرة، دون الحلال والحرام؛ لأنه

أشمل فـ"لفظ المعروف والمنكر... يتناول جميع ما أَمَر الله به؛ فإنه معروف، وجميع ما نهى عنه؛ فإنه منكر"[(١)].

ومن أعظم ما يُدْعَى إليه: الإيمان بالله؛ لأنه أعظم الخير، وغيره راجع إليه، ولهذا ذُكر مع هذه الشعيرة في قوله تعالى: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**﴾ [آل عمران:١١٠]، فتقديم الأمر والنهي على الإيمان لا يعني الأفضليَّة من كل وجه، بل إنه يدل -في نظري- على عِظم أثر ذلك في الإيمان، إذا فهمنا أنَّ الأمر والنهي المذكورين إنما هما دعوة للإيمان، والقائمين بهما مؤمنون في الأصل، وإنما ذكر لزيادة تأكيد ارتباط ذلك بالإيمان، ولا شك أن بين هذه الشعيرة وبين الإيمان تأثيراً متبادلاً، فهي تؤثر فيه وهو يؤثر فيها، "فإذن المؤثر في حصول هذه الخيرية هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأما الإيمان بالله فهو شرط لتأثير هذا المؤثر في هذا الحكم؛ لأنه ما لم يوجد الإيمان لم يصر شيء من الطاعات مؤثراً في صفة الخيرية، فثبت أن الموجب لهذه الخيرية هو كونهم آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر، وأما إيمانهم فذاك شرط التأثير، والمؤثر ألصق بالأثر من شرط التأثير، فلهذا

(١) دقائق التفسير – (٢ / ٦٩).

السبب قدم الله تعالى ذكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على ذكر الإيمان"[1].

ولا شك أنَّ التقديم يدلُّ على عناية بأمرهما من وجه ما، يقول ابن عاشور: "إنَّما قدَّم ﴿**تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ**﴾ على قوله ﴿**وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**﴾؛ لأنهما الأهم في هذا المقام المسوق للتنويه بفضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الحاصلة من قوله تعالى: ﴿**وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ**﴾ [آل عمران: ١٠٤]، والاهتمام الذي هو سبب التقديم يختلف باختلاف مقامات الكلام، ولا يُنظر فيه إلى ما في نفس الأمر؛ لأنَّ إيمانهم ثابت محقَّق من قبل"[2].

ومن أعجب ما نرى اليوم أنَّ الجهات الظاهرة في الدعوة إلى الإسلام هي المكاتب التعاونية، ولا نجد من الاهتمام بها والدعم لها ما نجده لغيرها، وكأننا نستحيي أو نخاف أن نظهر الدعوة لديننا الحق، وهو المقصود الأعظم في أمر الحسبة، وفي المقابل نجد الحسبة مقصورة على أمور معينة لا نقلِّل من شأنها،

(١) التفسير القرآني للقرآن – (٢ / ٣٣).
(٢) التحرير والتنوير – (٤ / ٥٠).

لكن مثل هذا التشتيت، وعدم تقديم الأولويات أضعف أثر هذه الشعيرة.

وبعد الإيمان تأتي فروع الخير، ولمَّا كان فعل الخير مما جبلت عليه النفوس نجده دائمًا مُقدَّماً؛ لأن الله يريد بنا خيراً، "فالأمر فعل، والنهي ترك... وإتيان المأمورات مُقدَّم على ترك المنهيات؛ ولهذا التزم القرآن تقديم الأمر على النهي في كل مقام اجتمعا فيه، فقال تعالى: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ تَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ**﴾ [آل عمران: ١١٠] وقال سبحانه: ﴿**يا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَ أْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَ انْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ**﴾ [لقمان: ١٧]، وذلك أنَّ فعل الأمر يحمل في طياته الانتهاء عن منكر يقع فيه من لا يمتثل الأمر... ومخالفة الأمر يحمل مع تضييع الأمر الوقوع في محذور النهي... وليس الشأن كذلك في النهي الذي يقف بصاحبه عند محذور النهي. إذاً هو فعل المنهيِّ عنه... و مِن هنا كان إتيان المأمورات مثابًا عليه، بخلاف اجتناب المنهيَّات، فإنه بحسب المرء باجتنابها أن يسلَم مِن شرها، ويخرج معافى لا عليه ولا له... ومع هذا فإن الشيطان خالف أمر ربه بامتناعه عن السجود لآدم... وآدم عصى ربه كذلك بإتيان ما نهاه عنه،

فأكل من الشجرة؛ ولهذا كان لكلٍ منهما حسابه وعقابه... وقد أظهر آدم الندم، وأقبَل على ربِّه تائبًا مستغفرًا، فتقبَّل الله -سبحانه وتعالى- توبته، وغفر له... وأما الشيطان فقد أحاطت به خطيئته، وأعمته عن طريق الرجوع إلى الله -سبحانه-، فمضى في غيِّه وضلاله، تصحبه لعنة الله إلى يوم الدين"(١).

ثالثاً: مقصد تحقيق الخيرية:

لقد جاء الحكم صريحاً بخيرية هذه الأمة، وعلَّل ذلك بإقامة هذه الشعيرة العظيمة فقال سبحانه: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**﴾ [آل عمران:١١٠]، يقول ابن عاشور : "وجملة: ﴿**تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ**﴾ حال في معنى التَّعليل؛ إذ مدلولها ليس من الكيفيَّات المحسوسة حتى تحكي الخيرية في حال مقارنتها لها، بل هي من الأعمال النَّفسية الصالحة للتعليل لا للتوصيف"(٢).

والخيرية مقصد عام يسعى له كل عاقل، فكيف بأمة ختمت بها الأمم؟!

ولما علَّل الله -سبحانه- ذلك بهذه الأوصاف الثلاثة: ﴿

(١) التفسير القرآني للقرآن - (١ / ٢٢٦).
(٢) التحرير والتنوير- (٤ / ٥٠).

تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾، علمنا أنها طريق تلك الخيرية؛ ولهذا بيَّن سبحانه بعد ذلك مباشرة ضلال أهل الكتاب عن تلك الخيرية، وتأمل ذلك في قوله: ﴿**لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ**﴾، وذُكِر الأمر الأشمل وهو الإيمان فقال جلَّت قدرته: ﴿**وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾ [آل عمران: ١١٠]، فهم لم يؤمنوا الإيمان الذي آمنته هذه الأمة، المتضمن القيام بهذه الشعيرة، بدليل أنه ذكر أنَّ منهم مؤمنين، لكن يظهر أنَّ أهل المنكر والفسق أكثر كما قال سبحانه: ﴿**وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾، فأشعَر ذلك أنَّ هذه صفة الأمَّة كلها، وأنَّ الخيرية مرتبطة بهذا العموم، وهذا ما يُحمِّل الأمة كلها تبعة عدم تحقيق الخيرية.

ويؤيِّد هذا أنَّ الأمر بذلك في قوله تعالى: ﴿**وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ**﴾ بُدِئ بالدعوة إلى الخير، فقال سبحانه:﴿**يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ**﴾، ومن دعا إلى الخير حصل له الخير، بل إنه لا يدعو إلى الخير إلا المتصف بالخير، وبهذا كان الخير هو شعار هذه الأمة، فهو صفتها وهو دعوتها.

رابعًا: مقصد دفع أسباب العذاب:

لَمَّا كان حلول العذاب له أسبابه كانت العناية بدفع العذاب مِن أعظم المقاصد، ومِن ذلك الإصلاح، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: ١١٧]، ونجد تأكيد دفع العذاب والهلاك واضحًا في هذه الآية، فقد جاءت (لام) الجحود بعد كونٍ منفي ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ﴾، وهذا من آكد أنواع النفي؛ لأنه أشمل في الزمن، ذلك أن هذه اللام "جرت في كلامهم نفيًا للفعل المستقبل... وفي هذه النكتة مطلع على فوائد من كتاب الله، ومرقاة إلى تدبره كقوله: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: ٣٣]... ومثله: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى﴾ [هود: ١١٧]، ثم قال: ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى﴾ [القصص: ٥٩]، فلاحظ هذه الآية من مطلع الأخرى تجدها كذلك"[1].

وذكر عنوان الربوبية ﴿ربُّك﴾ للتدليل على الحفظ والرعاية والرحمة لمن هذا شأنه، والتقييد بالظلم له مدلوله، فهو يشير إلى عدل الله سبحانه وحكمته، "وفي الآية قولان أحدهما:

(١) بدائع الفوائد: (١/ ١٠٦).

ما كان ليهلكها بظلم منهم، الثاني: ما كان ليهلكها بظلم منه، والمعنى على القول الأول: ما كان ليهلكها بظلمهم المتقدم وهم مصلحون الآن، أي: إنهم بعد أن أصلحوا وتابوا لم يكن ليهلكهم بما سلف منهم من الظلم، وعلى القول الثاني: إنه لم يكن ظالمًا لهم في إهلاكهم، فإنه لم يهلكهم وهم مصلحون، وإنما أهلكهم وهم ظالمون، فهم الظالمون لمخالفتهم، وهو العادل"(١).

وفي ذكر الأهل ووصفهم بالإصلاح ﴿**وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ**﴾ ما يدل على عظم هذا الأمر، وكبير أثره في دفع العذاب، "والمصلحون مقابل المفسدين في قوله قبله: ﴿**يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ**﴾ وقوله: ﴿**وَكَانُوا مُجْرِمِينَ**﴾ [هود: ١١٦]، فالله تعالى لا يُهلِكُ قوماً ظالماً لهم، ولكن يُهلِكُ قوماً ظَالمين أنفُسَهُمْ، قال تعالى: ﴿**وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلاَّ وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ**﴾ [القصص: ٥٩]"(٢).

ولا شك أنَّ المُصلِح غير الصالح، ومَن كان مُصلِحًا فهو في الوقت ذاته صالِح في نفسه، وقد ذكر الله ذلك عن الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، فقال سبحانه: ﴿**وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ**﴾ [آل عمران: ١١٤].

(١) مدارج السالكين: (١ / ٢١٧).
(٢) التحرير والتنوير: (١٢ / ١٨٧).

وقد ذكر لنا سبحانه كيف تحققت النجاة للقائمين بهذه الشعيرة وهلاك غيرهم في قوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ**﴾ [الأعراف: ١٦٥]، ولهذا لا بد أن يسعى المصلحون في سبيل نشر الخير، والتقليل من الشر؛ حتى لا يحل بالجميع هذا العذاب البئيس، وقد ذكر الله سبحانه هنا حالة الناهين ونجاتهم، والظالمين وعذابهم، ولم يذكر -سبحانه- الصنف الثالث الذي سكت، وقال للناصحين: ﴿**لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ**﴾، وبما أنهم قد أنكروا الفعل بقلوبهم، واعتزلوا الظالمين، فهم من الناجين بإذن الله، عن عكرمة قال: "قرأ ابن عباس: ﴿**فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ**﴾. قال: فأرى اليهود الذين نَهَوْا قد نجوا، ولا أرى الآخرين ذُكروا، ونحن نرى أشياء ننكرها فلا نقول فيها! قال: قلت: إنْ جعلني الله فداك، ألا ترى أنهم قد كَرِهوا ما هم عليه، وخالفوهم وقالوا: ﴿**لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ**﴾ [الأعراف: ١٦٤]؟ قال: فأمرَ بي، فكُسِيت بُرْدَين غليظين"[١].

(١) تفسير الطبري: (١٣ / ١٨٩).

خامسًا: مقصد دفع الفساد والتقليل منه:

يحث المولى سبحانه أن تتصدّى فئةٌ لمثل هذا المقصد النبيل، فيحارِبوا الفساد في الأرض، فيقول -جلَّت قدرته-: ﴿**فَلَوْلاَ كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ**﴾ [هود: ١١٦]، فنلحظ هنا قوة الحث والحض على هذا الأمر؛ لما له مِن الأثر على صلاح المجتمع، بل إنه ليظهر في هذا الأسلوب الشفقة على الناس مِن فُشُوِّ الفساد وعدم وجود مَن يدفعه ويحاربه، يقول أبو حيان: "(لولا) هنا للتحضيض، صحبها معنى التفجع والتأسُّف الذي ينبغي أن يقع من البشر على هذه الأمم التي لم تهتد، وهذا نحو قوله: ﴿**يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ**﴾ [يس: ٣٠]"(١).

وتشير كلمة ﴿**بقية**﴾ إلى ضرورة وجود هذه الفئة ولو كانت قليلة، وإنما وَردت هذه الكلمة خصوصاً؛ "لأنَّ الشرائع والدول ونحوها قوتها في أولها، ثم لا تزال تضعف، فمن ثبت في وقت الضعف فهو بقية الصدر الأول"(٢).

وكلمة (الفساد) عامة، ولا شك أنَّ مِن أعظم الفساد

(١) تفسير البحر المحيط: (٦/ ٤٧١).
(٢) تفسير البحر المحيط: (٦/ ٤٧١).

الكفر، يقول أبو حيان: "والفساد هنا الكفر وما اقترن به من المعاصي، وفي ذلك تنبيه لهذه الأمة وحضٌ لها على تغيير المنكر"(١)، ولكن هذا لا يعني أن الفساد لا يشمل صوراً أخرى، فقد يكون في الأموال، وقد يكون في الأعراض، وقد يكون في الأخلاق، فكل مَن حارب فسادًا – أيًّا كانت صورته – فقد أسهَم في هذه الفريضة الشريفة؛ ولهذا فإن حصر هذه الشعيرة في قضايا محددة، وتكليف جهة معينة بذلك، وجعلها تحمل عنوان هذه الشعيرة، قد أسهم في إساءة النظرة إليها، وتحجيم معنى هذه الشعيرة في نفوس الناس، مع أن الصحيح أن من يتولى هذه الولاية عليه أن يرعى مصالح عديدة، ويحارب صوراً كثيرة من الفساد، يقول ابن القيم:"وأما ولاية الحسبة فخاصتها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيما ليس من خصائص الولاة والقضاة وأهل الديوان ونحوهم، فعلى متولي الحسبة أن يأمر العامة بالصلوات الخمس في مواقيتها، ويعاقب من لم يصلِّ بالضرب والحبس، وأما القتل فإلى غيره، ويتعاهد الأئمة والمؤذنين فمن فرط منهم فيما يجب عليه من حقوق الأمة، وخرج عن المشروع ألزمه به، واستعان فيما يعجز عنه بوالي الحرب والقاضي..

(١) تفسير البحر المحيط: (٦ / ٤٧١).

ويأمر والي الحسبة بالجمعة، والجماعة، وأداء الأمانة، والصدق، والنصح في الأقوال والأعمال، وينهى عن الخيانة، وتطفيف المكيال والميزان، والغش في الصناعات والبياعات، ويتفقد أحوال المكاييل والموازين..."[1].

سادسًا: مقصد تحقيق الفلاح:

الفلاح هو جِماع الخير، ومَن تحقق له الفلاح فقد نجا، وقد جعل الله -سبحانه وتعالى- إحدى طرق تحقيق هذا الفلاح القيام بهذه الشعيرة، فقال سبحانه: ﴿**وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [آل عمران: ١٠٤]، والمراد: "المنجحون عند الله الباقون في جناته ونعيمه"[2]، فأشار الله -جلَّت قدرته- إلى علوِّ قدرهم بأداة البعيد ﴿**أُولَئِكَ**﴾، "واختير اسم إشارة البُعْد تنبيهاً على البعد المعنوي الاعتباري"[3]، وحُصِر الفلاح فيهم بضمير الفصل ﴿**هُم**﴾، تدليلاً على شدة تحقُّق هذه الصفة فيهم، حتى لكأنها في غيرهم عدم.

---

(١) الطرق الحكمية: (١ / ٣٤٩)

(٢) تفسير الطبري: (٧ / ٩١).

(٣) التحرير والتنوير: (٨ / ٣١).

يقول ابن عاشور: "والتقدير: وهم مفلحون؛ لأن الفلاح لَمَّا كان مسبَّباً على تلك الصفات الثلاث جُعِل بمنزلة صفة لهم، ويجوز جعل جملة ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ حالاً من أمَّة، والواو للحال، والمقصود بشارتهم بالفلاح الكامل إن فعلوا ذلك، وكان مقتضى الظاهر فصل هذه الجملة عمَّا قبلها بدون عطف، مثل فصل جملة ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٥]، لكن هذه عُطفت أو جاءت حالاً؛ لأن مضمونها جزاء عن الجُمَل التي قبلها، فهي أجدر بأن تُلحق بها، ومفاد هذه الجملة قصْر صفة الفلاح عليهم، فهو إمَّا قصْر إضافي بالنِّسبة لمن لم يقم بذلك مع المقدرة عليه، وإمَّا قصْر أُريد به المبالغة؛ لعدم الاعتداد في هذا المقام بفلاح غيرهم، وهو معنى قصد الدَّلالة على معنى الكمال "[١].

وجاء تأكيد ذلك في صفة الرسول الكريم محمد ﷺ وصفة أتباعه في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ

(١) التحرير والتنوير: (٤ / ٤٢).

وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

ومن صور الفلاح: رحمة الله -جلَّت قدرته- لمن يقوم بهذا الأمر، قال تعالى: ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ [التوبة: ٧١]، وتلحظ في هذه الآية الكريمة كيف اجتمع مع هذه الشعيرة أعمال أخرى فاضلة ختمت برحمة الله لهم.

سابعًا: مقصد الإعذار عند الله:

إنَّ مجرد القيام بهذه الشعيرة على ما أراد الله لهو بحدِّ ذاته فضيلة كبرى؛ إذ ليس بالضرورة تحقق زوال المنكر؛ لأن هداية الناس ليست إلا لله؛ ولهذا يجب ألَّا تفتر الهمم لعدم استجابة الناس؛ لأننا لسنا مطالبين بضرورة تحقق ذلك[1]، وقد ذكر الله لنا بعض أحوال الأمم التي سبقتنا، وكيف أن بعضهم قد أسرف في الفساد، حتى أصبح عرضةً للهلاك والعذاب، ومع هذا فلا بد مِن وعظه ونصحه؛ لأنَّ ذلك يحقق فائدتين أو إحداهما: الانتهاء عن المنكر، أو الإعذار عند الله، قال تعالى:

(١) ومما يبين هذا المعنى ويؤكده آيات كثيرة منها: قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤]، وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ﴾ [آل عمران: ٢٠]، وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاَغُ الْمُبِينُ﴾ [المائدة: ٩٢]، وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ﴾ [النحل: ٨٢]، وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْمُبِينُ﴾ [التغابن: ١٢]، وقوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلاَغُ الْمُبِينُ﴾ [النحل: ٣٥]، وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ﴾ [هود: ٥٧]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ [الرعد: ٤٠]، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]، و قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ﴾ [الغاشية: ٢١، ٢٢].

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٤]، وهذه من أهم حِكَم التذكير والبلاغ، يقول الشنقيطي: "مِن حِكم التذكير... رجاء انتفاع المذكر به؛ لأنه تعالى قال هنا: ﴿وَذَكِّرْ﴾ [الذاريات: ٥٥]، ورتَّب عليه قوله: ﴿فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥]، ومِن حِكم ذلك أيضاً خروج المُذَكِّر من عهدة التكليف بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد جمع الله هاتين الحكمتين في قوله: ﴿قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٤]"[١].

وإنَّ استحضار مثل هذا المقصد العظيم لَيدفع إلى الأمام، ويزيل كل صور الفتور التي قد تعترض طريق المصلحين، ويبدِّد كل المخاوف التي قد تلوح لهم، ويجعل الهدف هو قيام الشعيرة وحصول النصح، ولو لم يستجب أحد.

فالملحوظ هنا أنَّ الفريقين المنكِرَين اختلفا في الرأي، فريقٌ توقَّف عن الوعظ بعد ما رأى تمادي القوم، وفريق استمر فيه؛ أملاً في تحقيق المراد، والمعنى: "عظتنا إياهم معذرةٌ إلى ربكم، نؤدِّي فرضه علينا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر... ولعلهم أن

---

(١) أضواء البيان: (٧/ ٤٤٣).

يتقوا الله؛ فيخافوه؛ فينيبوا إلى طاعته، ويتوبوا من معصيتهم إياه، وتعدِّيهم على ما حرَّم عليهم من اعتدائهم في السبت"[١].

وهذا الفريق الثاني لن يتوقف عن هذا العمل العظيم ما دامت هذه حجته، فقد ربط العمل بنتائج لا يمكن أن يتطرق معها اليأس إلى العاملين، وهذا ما ينبغي استحضاره إذا عظمت الفتن، وتفاقمت الشرور، وقرب حلول العذاب، يقول النووي: "قال العلماء: ولا يسقط عن المكلَّف الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر؛ لكونه لا يفيد في ظنه، بل يجب عليه فعله فإن الذكرى تنفع المؤمنين"، و... أنَّ الذي عليه الأمر والنهي، لا القبول "[٢].

إنَّ المؤمن الحق هو مَن يعمل الخير لآخر لحظة؛ لأنه لا ينظر إلى النتائج العاجلة فحسب، بل ينظر إلى النتائج الآجلة أيضاً، ولا يتوقف لتوقف الآخرين؛ لأن الله أثنى على الواعظين الذين هذا منهجهم، بأنْ أنجاهم، وأهلك الظالمين، ويكفي هذا نصراً وتحفيزاً لهم، قال سبحانه: ﴿**فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ**﴾ [الأعراف: ١٦٥]، بينما لم يُذكر الآخرون بمدح

---

(١) تفسير الطبري: (١٣ / ١٨٥).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم: (٢/ ٢٢).

ولا قدح، وفي ذلك إشارة إلى علو مرتبة الواعظ المصلح المستمر الدائب، حتى ولو عظم البلاء واشتد الفساد.

ثامنًا: مقصد الإنقاذ والتوبة:

مع الإيمان بأنَّ الأمر لله، وأنَّ القلوب بيده، إلا أنه ينبغي عدم اليأس، والعمل على إنقاذ الناس مما يسبب لهم العذاب بالأسلوب الحسن، والطريقة المناسبة، وقد ذكر الله الإنعام بإنقاذ الناس من العذاب قبل آية الأمر بالمعروف، في إشارةٍ إلى ضرورة العمل على ذلك، قال تعالى: ﴿**وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقال سبحانه: ﴿**كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ**﴾ [النساء: ٩٤]، فالمطلوب أن نسعى لإنقاذ الناس كما تفضَّل الله علينا بذلك، ولكن بالرحمة واللِّين كما رحمنا ربُّنا ورفق بنا.

ولهذا المعنى جاء التعميم بذكر كلمة (الناس)، في كون هذه الأمة أُخرِجَت للناس، وقد جاء في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه: "﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ**﴾ [آل عمران: ١١٠]، قَالَ: "خَيْرَ النَّاسِ لِلنَّاسِ، تَأْتُونَ بِهِمْ فِى السَّلاَسِلِ فِي أَعْنَاقِهِمْ، حَتَّى يَدْخُلُوا فِى الإِسْلاَمِ" (١).

(١) صحيح البخاري: (٤٥٥٧).

ويبقى الأمل في نفوس العاملين في هذا المجال قويًّا، وينبغي ألا يتطرق إليهم اليأس، فقد يفوتهم التأثير وحصول الأثر، لكن لن يفوتهم القيام بالشعيرة ذاتها كما بيَّناه في المقصد السابق، وقد يجتمع لهم الأمران، ويهتدي الناس على أيديهم، وذلك فضل الله يؤتيه مَن يشاء، قال تعالى: ﴿**قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ**﴾ [الأعراف: ١٦٤]، لعلهم يعودون ويتوبون، فلا يحسن بنا أن نحكم على الناس بالهلاك، ونستبعد عودتهم، فذلك هو الهلاك بعينه، قال ﷺ: (إِذَا قَالَ الرَّجُلُ: هَلَكَ النَّاسُ، فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ)[١].

وبما أنَّ هذه الصورة ذُكرت في هذه الحالة الشنيعة التي وصل إليها العصاة والمفسدون، فما كان مثلها أو دونها من باب أولى أن يرجى فيه رجوع المذنب عن ذنبه، وذكر التقوى خصوصاً ﴿**يَتَّقُونَ**﴾ يُشعر بأملهم في حيلة الإيمان في قلوبهم، واستشعار خوف الله؛ مما يردعهم عن غيِّهم، فالمعنى: "وَلَعَلَّ لِهَذَا الإِنْكَار يَتَّقُونَ مَا هُمْ فِيهِ وَيَتْرُكُونَهُ، وَيَرْجِعُونَ إِلَى اللهَّ تَائِبِينَ، فَإِذَا تَابُوا تَابَ اللهَّ عَلَيْهِمْ وَرَحِمَهُمْ[٢]".

(١) صحيح مسلم: (٦٨٥٠).
(٢) تفسير ابن كثير: (٥/ ٤٨٣).

الوسائل

بعد ما حاولنا إبراز بعض مقاصد وأهداف إقامة هذه الشعيرة، فيحسن بنا أن نتلمَّس الوسائل المعينة على تحقيق تلك المقاصد مِن خلال التوجيه القرآني في هذا المجال، ولعلَّ مِن أهم تلك الوسائل والطرق ما يأتي:

أولاً: فعل الخير والدعوة إليه.

بما أنَّ الله ذكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر معطوفًا على الدعوة إلى الخير في قوله تعالى: ﴿**وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ**﴾ [آل عمران: ١٠٤]، فإن ذلك يعني أنَّ الدعوة أمر خارج عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي -في نظري- مِن أهم وسائله، ذلك أنَّ الداعي إلى الخير يأمر بالمعروف في الحقيقة، وهو مقبول عند الناس، وإذا كثر ذلك قلَّ المنكر.

كما أنَّ فعل الخير بحدِّ ذاته مِن قبل الداعين والمحتسبين أو جمهور الناس هو أحد أسباب إشاعة الخير وكثرته، وهذا بحدِّ ذاته كفيل بتقليل الشر؛ لأن الإنسان بطبعه ميَّال إلى حب فعل الخير، والشر مكروه بالفطرة.

ومجيء الفعل ﴿**يَدْعُونَ**﴾ بصيغة المضارع يُشعر بتجدد

ذلك منهم، وهذا يعني كثرته، وربما تنوعه.

وقد لام الله -سبحانه- مَن يأمر بالبر ولا يفعله في قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤]، في إشارة إلى أنَّ مِن مقتضيات العقل أن يمارس الإنسان ما يدعو إليه؛ لأنَّ ذلك مِن أهم أسباب قبوله عند الآخرين، يقول الزمخشري: "وأول ذلك أن يهتدي بنفسه؛ لأن الانتفاع بهداه أعم، والنفوس إلى الاقتداء بالمهدي أميل"[(١)].

وقد جاءت هذه الآية العظيمة بعد ما يضمن تهذيب النفوس وتوجيهها نحو الخير والصلاح، فكأنهم بذلك تمرسوا على الفضائل، فأصبحوا أهلاً للدعوة إليها، يقول أبو السعود عن هذه الآية: "أمرهم الله -سبحانه- بتكميل الغير وإرشاده إثر أمرهم بتكميل النفس وتهذيبها بما قبله من الأوامر والنواهي؛ تثبيتًا للكلِّ على مراعاة ما فيها من الأحكام، بأن يقوم بعضهم بموجبها ويحافظ على حقوقها وحدودها، ويذكرها الناس كافة، ويردعهم عن الإخلال بها"[(٢)].

(١) الكشاف: (٣/ ١٢٨).

(٢) تفسير أبي السعود: (٢/ ٦٧).

ومما يبين شأن فعل الخير وأثره في دعوة الناس إليه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٣]، فإن معناها: "جعلهم الله أئمة يُقتدى بهم في أمر الله و... يهدون الناس بأمر الله إياهم بذلك، ويدعونهم إلى الله وإلى عبادته"(١)، ويظهر في هذه الآية أمر الاقتداء بوضوح، ولن يكون قدوة في الخير مَن لا يعمل الخير ويتصف به؛ لذا جاء بعدها النص على فعل الخيرات وعمل الصالحات: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾، "أي: مطيعين باجتناب النواهي وامتثال الأوامر بإخلاص، فهم يفعلون ما يأمرون الناس به، ويجتنبون ما ينهونهم عنه، كما قال نبي الله شعيب: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾ [هود: ٨٨] الآية"(٢).

ثانيًا: الكلمة الطيبة.

ويدخل في ذلك كلُّ أوصاف القول الممدوحة في القرآن، مثل: الحُسن، والبلاغة، والكرم، واللِّين، والسداد، ويجمع ذلك كلَّه: الطيب، وإذا كان اللِّين والرفق مطلوبًا في الأمور كلِّها

(١) تفسير الطبري: (١٨ / ٤٧٢).
(٢) أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن: (٤ / ٢٤١).

فهو في الكلام أكثر طلباً، ذلك أنَّ الكلمة سلاح مهمٌّ إذا أُحْسِن استخدامه؛ لهذا لا بد أن نستثمره في النافع المفيد، كيف لا وقد جعل الله مِن استخدامات القول الأمر بالمعروف؟! قال تعالى: ﴿**لاَ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ**﴾ [النساء: ١١٤].

ولا شك أنَّ مما يؤخذ على المحتسبين - أحيانًا - الغلظة والشدَّة في الكلام، ولو كان هناك اهتمام بالكلمة وحسنها ولينها لكان ذلك أكثر نفعًا، أما قال سبحانه: ﴿**وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا**﴾ [البقرة: ٨٣]، ﴿**وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾ [الإسراء : ٥٣]، وأَرشَد سبحانه موسى وأخاه هارون -وهما يريدان تغيير أعظم منكر- إلى لين القوْل، فقال سبحانه: ﴿**فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى**﴾ [طه: ٤٤]، فـ"أمرهما بما ينبغي لكل آمر بالمعروف من الأخذ بالأحسن فالأحسن، والأسهل فالأسهل"(١).

"واللين من شعار الدعوة إلى الحق، قال تعالى : ﴿**وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾ [النحل: ١٢٥] وقال: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِّ لِنْتَ لَهُمْ**﴾ [آل عمران: ١٥٩]. ومِن اللِّين في دعوة موسى لفرعون قوله

(١) نظم الدرر: (٥/ ٢٠).

تعالى: ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى * وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى﴾ [النازعات: ١٨، ١٩]، وقوله: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾ [طه: ٤٧]؛ إذ المقصود من دعوة الرسل حصول الاهتداء، لا إظهار العظمة وغلظة القول بدون جدوى..."[1].

وقد يقول قائل: هذا في الدعوة، نقول: إنَّ الدعوة لا تنفصل عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهي إما أداة من أدواته، وصورة من صوره، أو العكس، والمهم هو أنَّ الدعوة في حقيقتها أمر بمعروف، أو نهي عن منكر.

وقد ذكر الله نموذجا عمليًّا في استثمار الكلمة في رد المنكر ونشر الخير، فقال سبحانه: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الحجرات: ٩]، فـ"قدم الإصلاح على القتال، وهذا يقتضي أنْ يُبدأ في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالأرفق مترقياً إلى الأغلظ فالأغلظ"[2].

وينبغي أنْ يكون ذلك هو المُقَدَّم لدى رجال الحسبة، فإنَّ

---

(١) التحرير والتنوير: (١٦/ ٢٢٥).
(٢) التفسير الكبير: (٨/ ١٤٧).

للكلمة الطيبة أثراً عظيماً، ولو لم يكن لها ذلك ما أمر الله نبيَّه ﷺ باللِّين والرفق، ولا أمر رسوله موسى -عليه السلام- أن يبدأ مع فرعون بالقول اللين قبل كل شيء، بل وجعل ذلك أرجى من غيره في حصول الأثر المطلوب، وزوال المنكر العظيم وهو الكفر، فقال سبحانه: ﴿**لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى**﴾ [طه: ٤٤].

وإذا كان ذلك يؤمر به مع الطاغية بدليل ورود ﴿**اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى**﴾ [طه: ٤٣]، فغيره من باب أولى.

ثالثاً: الموعظة الحسنة.

الموعظة الحسنة -وإن كانت داخلة في عموم الكلمة الطيبة- إلا أنَّ لها ميزة خاصة في هذه الشعيرة؛ لهذا يحسن إبرازها، وتسليط الضوء عليها، وقد جاءت مفردة "الوعظ" واضحة في وصف طريقة المصلحين: ﴿**لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ**﴾ [الأعراف: ١٦٤]، وفي قصة لقمان مع ابنه: ﴿**وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ**﴾ [لقمان: ١٣]، وهذا يعني أنَّ الوعظ وسيلة ناجعة استخدمها الأنبياء الكرام، والمصلحون والحكماء في دحر الفساد ونشر الخير، قال تعالى عن نبيه الكريم محمد ﷺ: ﴿**فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغًا**﴾ [النساء: ٦٣]، وقال تعالى:

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥]، وسمى قومُ هود أمرَه ونهيَه لهم وعظاً فقالوا: ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾ [الشعراء: ١٣٦].

والوعظ يثمر في فعل الخير، ويوصل إلى النجاة كما قال سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ [النساء: ٦٦]، كما أنه يثمر الانتهاء عن الشر والمنكر، كما قال سبحانه: ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى﴾ [البقرة: ٢٧٥].

وأعظم دلالة على أثر الوعظ أنَّ هذا القرآن العظيم وُصِف به، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧]، يقول ابن عطية: "هذه آية خوطب بها جميع العالم، والموعظة القرآن؛ لأن الوعظ إنما هو بقول يأمر بالمعروف ويزجر ويرقق، ويوعد ويعد، وهذه صفة الكتاب العزيز"(١).

ولهذا نستطيع القول: إنَّ تذكير الناس بربهم ومآلهم مِن

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: (٣/ ١٢٦).

أعظم المؤثرات فيهم، والوعظ المباشر بالقرآن من الوسائل المهملة أو القليلة، وكيف يكون هذا والله يقول لنبيه الكريم: ﴿**وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَ يَعْلَمُونَ**﴾ [التوبة: ٦]، فالغاية سماع القرآن؛ لأنه أعظم المواعظ، وقد استخدمه النبي ﷺ في دعوته إلى هذا الدِّين في مواطن، وفعل ذلك سفراؤه الأُوَل إلى المدينة والحبشة، واعترف الكفار بذلك التأثير كما في قوله تعالى: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لاَ تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ**﴾ [فصلت: ٢٦].

وفي رأيي أنَّ استثمار هذه القوة التأثيرية للقرآن مهمة في القيام بهذه الشعيرة العظيمة، ولكن تبقى طريقة التطبيق كيف تكون، هذا ما يمكن للجهة المعنيَّة بحثُه.

ومما يبين عِظم تأثير الوعظ أنَّ الفئة المؤمنة ذكرت مِن آثاره حصول أحد أمرين: ﴿**مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ**﴾ [الأعراف: ١٦٤]، وجعلوا صورة الانتهاء ممثلة في التقوى ﴿**وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ**﴾، وهي تعني حياة القلب والخوف من الله، ورجاء ما عنده، وهذا لبُّ الوعظ.

رابعاً: الاجتماع والتكاتف.

إذا كنَّا قد ذكرنا أنَّ الاجتماع ونبذ الفرقة كان هدفًا وقصدًا، فإنه يمكن عدُّه أسلوبًا ناجعًا في إقامة هذه الشعيرة، ونستدل لذلك بكلمة ﴿**أُمَّةٌ**﴾ في قوله تعالى: ﴿**وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ**﴾ [آل عمران: ١٠٤]، فالأسلوب جماعي كما نرى، وجاء الحث عليها بالأسلوب الأمري ﴿**وَلْتَكُنْ**﴾، كما نجد ذلك يتكرر باللفظ ذاته ﴿**أُمَّة**﴾ في قوله تعالى: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**﴾ [آل عمران: ١١٠]، وتلحظ -أيضًا- وجود النمط الجماعي من خلال تكرار (واو الجماعة) في الأفعال، وهذا ظاهر في جُلِّ الآيات إن لم يكن في كلِّها.

ولهذا فقد فهم جمع من المفسرين أنَّ التوجيه عام للأمَّة كلِّها، وعليه "يمكن أن يكون قوله تعالى: ﴿**وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ**﴾ دعوة للأمة الإسلامية كلِّها أن تكون على تلك الصفة... أمَّة تدعو إلى الخير، وتأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، ويكون معنى (مِن) في ﴿**مِنْكُم**﴾ للبيان لا للتبعيض، وهذا ما يناسب قول الله تعالى بعد هذه الآية: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ**

وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾"[١].

وبناءً على ذلك فإنَّ مجموع المسلمين إذا تواصوا على هذا الأمر فإنه سيكون من أعظم الوسائل تأثيراً ونجاحاً، أليس هذا هو الممدوح به المؤمنون في سورة العصر، وهو التواصي بالحق والتواصي بالصبر، كما قال تعالى: **﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾**.

ألم يبعث الله هارون مع موسى في الدعوة إلى الخير وإنكار أعظم منكر وهو الكفر، والأمر بأعظم معروف وهو الإيمان

(١) التفسير القرآني للقرآن: (٢/ ٣٣)، وقال ابن كثير في تفسيره (٣٥/ ١٣٨) عند هذه الآية: "والمقصود من هذه الآية أن تكون فرقةٌ من الأمة متصدية لهذا الشأن، وإن كان ذلك واجباً على كل فرد من الأمة بحسبه، كما ثبت في صحيح مسلم، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: (من رأى منكم منكراً فليغيره)، وحتى على قول ابن كثير بأن المراد فرقة، وأن (مِن) للتبعيض، فيبقى الوجوب العام له وجوه كثيرة، منها ما أشار إليه ابن كثير نفسه، ودلَّل بعضهم على كون ﴿مِنْ﴾ ههنا ليست للتبعيض بدليلين: الأول: أن الله تعالى أوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على كل الأمة في قوله **﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾** [آل عمران: ١١٠]، والثاني: هو أنه لا مكلف إلا ويجب عليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إما بيده، أو بلسانه، أو بقلبه، ويجب على كل أحد دفع الضرر عن النفس إذا ثبت هذا، فنقول: معنى هذه الآية: كونوا أمة دعاة إلى الخير آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر، وأما كلمة ﴿مِنْ﴾ فهي هنا للتبيين لا للتبعيض" انظر: التفسير الكبير: (٨ / ١٤٥).

بالله؟! أما قال تعالى: ﴿**وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ * قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلاَ يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ**﴾ [القصص: ٣٤، ٣٥]، تأمل ﴿**رِدْءًا يُصَدِّقُنِي**﴾ و﴿**سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ** ﴾.

ولهذا فلا بد من السعي لإيجاد ما يمثل الشد على العضد، ولن يكون ذلك إلا بالتآزر والتكاتف للقيام بهذه الشعيرة.

خامساً : تربية المجتمع على تحمل المسؤولية.

استكمالاً لما أوردناه فيما يخص الاجتماع والتواصي، فإن من الأمور المتعلقة بذلك والمؤثرة فيه، ومن ثَمَّ في إقامة الشعيرة كلِّها: تربية المجتمع على مسؤولية الإصلاح، وهذا الأسلوب يعدُّ – في نظري– من أهم الأسباب المؤثِّرة، وله حيِّز واضح من دلالة النصوص؛ ذلك أنه ينبني على إحياء فضيلة المشاركة في الخير في نفوس المؤمنين، وإشعار الآخرين بأنهم جزء من هذا المجتمع ، يلزمهم الإسهام في إصلاحه، ودفع غوائل الشرور عنه، ونحن إذا نجحنا في إقناع الناس بمسؤوليتهم في هذا الأمر نكون قد حاصرنا المنكر، ووسَّعنا دائرة المعروف، وبهذا تمتد

المسؤولية لتشمل كل أحد حتى المذنب نفسه، ولعل هذا هو سبب اللعن الذي تعرض له أقوام من بني إسرائيل، قال تعالى: ﴿**لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ* كَانُوا لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ**﴾ [المائدة: ٧٨، ٧٩]، إن صيغة الفعل هنا (يتناهون) تشعر باللوم لعدم حصول النهي المتبادل من بعضهم لبعض، والقيد في قوله: (فعلوه) يظهر شناعة الفعل؛ لكون المنكر بينهم، وأنهم يفعلونه فلا ينهى بعضهم بعضًا، فهم لم يُلعنوا على فعل المنكر، بل على عدم التناهي عنه مع وقوعهم فيه، وهذا من أظهر الدلائل وأقواها على تحميل الجميع مسؤولية هذه الشعيرة.

يقول النووي -رحمه الله-: "قال العلماء: و لا يشترط في الآمر والناهي أن يكون كامل الحال ممتثلاً ما يأمر به مجتنباً ما ينهى عنه، بل عليه الأمر وإن كان مخلاًّ بما يأمر به، والنهي وإن كان متلبساً بما ينهى عنه، فإنه يجب عليه شيئان: أن يأمر نفسه و ينهاها، ويأمر غيره وينهاه، فإذا أخل بأحدهما كيف يباح له الإخلال بالآخر"(١).

(١) شرح النووي على صحيح مسلم: (٢/ ٢٣).

وأما ما ورد من مثل قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤] فالمعنى: "أن التوبيخ في الآية بسبب ترك فعل البر لا بسبب الأمر بالبر"[١]، وكذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ١٠٥]، يقول الإمام عبد الله بن المبارك: "هذه أوكد آية في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فإنه قال: ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ يعني: عليكم أهل دينكم، ولا يضركم من ضلَّ من الكفار، وهذا كقوله: ﴿فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤] يعني: أهل دينكم، فقوله: ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ يعني: بأن يعظ بعضكم بعضاً، ويرغب بعضكم بعضاً في الخيرات، وينفره عن القبائح والسيئات"[٢].

وهذا الفهم لو تغلغل في النفوس، وفقهه الناس، لجعلْنا المجتمع كلَّه في صفِّنا، ولوسَّعْنا مفهوم الأمر والنهي، فيكون الكاتب الصحفي، والشاعر والأديب، والعالِم، وغيرهم

(١) تفسير القرطبي: (١/ ٣٦٦).
(٢) التفسير الكبير: (٦/ ١٨٠).

كثير من جنود هذا الميدان إذا أرشدوا إلى هدى، وحذروا من ضلالة، وهذا ما يتناسب مع الفهم الواسع للشريعة، يقول ابن القيم رحمه الله: "وجميع الولايات الإسلامية مقصودها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لكن المتولين من يكون بمنزلة الشاهد المؤتمن، والمطلوب منه الصدق، مثل: صاحب الديوان الذي وظيفته أن يكتب المستخرج والمصروف، والنقيب والعريف الذي وظيفته إخبار ولي الأمر بالأحوال، ومنهم من يكون بمنزلة الآمر المطاع، والمطلوب منه العدل مثل الأمير والحاكم والمحتسب"[١] .

وبهذا الفهم الواسع نكون شركاء في تحقيق هذه الخيرية، وندرك أن الشعيرة قائمة، وأنَّ قاعدتها عريضة، فلا ينسل اليأس إلى القلوب، بل تتلاقى الجهود ويزيد التعاون، وهذا بدوره يعلمنا أنه لا يحقُّ لأحد أن يدعي أنه وحده القائم بهذه الشعيرة، بل غيره يشاركه في ذلك وإن اختلف الأسلوب.

(١) الطرق الحكمية: (١ / ٣٤٦).

سادساً: التزوُّد بالأعمال الصالحة.

لكي يقوم المحتسبون بعملهم فلا بد لهم مِن رافد ودافع، ولعل مِن أهم ما نلحظه في هذا المجال أنَّ هذه الشعيرة إذا ذُكِرت حفَّتها الأعمال الصالحة قبلها وبعدها، ومِن ذلك: الدعوة إلى الخير، وتلاوة آيات الله، والسجود، والإيمان بالله واليوم الآخر، هذا قبلها، وجاء بعدها: المسارعة في الخيرات، كما في قوله تعالى: ﴿**لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ * يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ**﴾ [آل عمران: ١١٣- ١١٥].

كما ذكر قبلها الأمر بالصدقة، وجاء بعدها الإصلاح بين الناس في قوله تعالى: ﴿**لاَ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ**﴾ [النساء: ١١٤].

وفي موطن آخر ذُكر قبلها إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة كما في قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ**﴾ [الحج: ٤١]

وأحيانًا تأتي بعدها كقوله تعالى: ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ [التوبة: ٧١]، وسبقها الحمد والركوع والسجود، وتَبِعها حفظ حدود الله، كما في قوله سبحانه: ﴿**التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [التوبة: ١١٢].

كما ذكر معها الصبر، والتواضع، ومحاسن الأخلاق في قوله تعالى: ﴿**يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ * وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ**﴾ [لقمان: ١٧- ١٩].

وإننا إذا تأملنا ذلك كلَّه وجدنا أنَّ هذه الصفة (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) لا تكون الصفة الوحيدة للمؤمن، بل تكون جملة من العبادات والأخلاق العظيمة، مما يدل على

ضرورة التكامل في هذه الفضائل، كما يدل -أيضًا- على ضرورة تزكية المحتسب بمثل هذه الفضائل.

سابعًا: التحلِّي بالأخلاق الحسنة.

لعلَّ مِن أهم أسباب قبول النصح والانصياع للأمر، والإقلاع عن الخطأ أن يُصاحِب ذلك خُلُقٌ حَسَن، وقد ذَكَر الله -سبحانه- مع هذه الشعيرة جملة من الأخلاق المهمَّة، التي تعدُّ عدّةً ضرورية للمحتسب، ومِن أهمها ما ورد في وصية لقمان -عليه السلام- لولده: ﴿**يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاَةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ * وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ**﴾ [لقمان: ١٧- ١٩].

فنجد هنا الوصية بخُلُقِ الصبر: ﴿**وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ**﴾، ومعلومٌ أنَّ مَن يتصدَّى لنصح الناس لا بد له من المعارضة؛ لأنه يخالف هواهم، وهنا لا بد من الصبر وعدم استعجال النتائج، فكم تحطمت على صخرة الصبر من عوائق، فهنيئًا للصابرين؛ ولهذا قال سبحانه: ﴿**إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ**﴾، وهذا الخُلق

يؤدي إلى الاستمرار وعدم اليأس؛ ذلك أنَّ المؤمن الحقَّ هو مَن يعمل الخير إلى آخر لحظة؛ لأنه لا ينظر إلى النتائج العاجلة فحسب، بل ينظر إلى النتائج الآجلة أيضاً، ولا يتوقف لتوقف الآخرين، وقد أثنى الله على الواعظين الذين هذا منهجهم بأن أنجاهم، وأَهْلَكَ الظالمين، ويكفي هذا نصراً وتحفيزاً لهم، قال سبحانه: ﴿**فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ**﴾ [الأعراف: ١٦٥]، بينما لم يُذكر الآخرون بمدح ولا قدح، وفي ذلك إشارة إلى علوِّ مرتبة الواعظ المصلِح، المستمر الدائب، حتى ولو عَظم البلاء واشتد الفساد.

ويؤيد هذا المعنى مجيء الأفعال بصيغة المضارع، الدال على الاستمرار التجددي، يقول أبو السعود: "﴿**تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ**﴾ [آل عمران: ١١٠]... وصيغة الاستقبال للدلالة على الاستمرار"(١).

والخُلق الثاني: التواضع، قال تعالى: ﴿**وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا**﴾، فهذا المرض -وهو التعالي- قد

---

(١) تفسير أبي السعود: (٢ / ٧١).

يسري للعاملين في هذا الحقل، فعليهم أن يحذروا ذلك، ويعلموا أنَّ المطلوب هو الرأفة بالعباد، وتقليل المنكر، أو الحيلولة دون وقوعه، وليس المراد هو التجبُّر والتسلُّط على الناس وإذلالهم، والفرح بالقبض عليهم متلبسين بالمنكر.

ولما لِلكبْر مِن ضرر على هذه الشعيرة، وعلى قبول الإنسان عمومًا عند الآخرين قال جلَّت قدرته: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ**﴾.

والخُلق الثالث: الهدوء واللطف، حتى في المشي والصوت، قال تعالى: ﴿**وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ**﴾.

وبهذا تكون الأخلاق من أهم الأسس التي نبني عليها تعاملاتنا، وخصوصاً إذا كان العمل يتطلب اتصالاً مباشراً مع الناس.

الخـــاتمــة

من خلال هذا التحليل لآيات الاحتساب في القرآن ، والتركيز على المقاصد والوسائل نستطيع الخروج بالنتائج التالية:

١- أن المقصد الأكثر ظهوراً هو الاجتماع ونبذ الفرقة، ولا عجب فهذا من أعظم مقاصد الدين .

٢- أن هذه الشعيرة مسؤولية اجتماعية كما تشير إلى ذلك صفة الجمع المتكررة في الآيات ، وكما تشير إليه كلمة (أمة) المذكورة أكثر من مرة ، وما يدل عليه ذكر اللعن في حق من لا يتناهون عن المنكر مع فعله.

٣- أن السعي لنشر الخير من أهم مهام هذه الشعيرة، وهو مقصد ووسيلة في آن واحد، وذلك أن الخير مقبول عند الناس وشيوعه يعني ضعف الفساد وقلته.

٤- أن الأهداف والمقاصد إذا اتضحت سهل العمل ، وقل الاختلاف ، وتضاءلت الأخطاء؛ لهذا لا بد أن يرسم المعنيون بهذا الأمر أهدافهم من خلال نصوص الوحي المعصوم فيما يخص هذه الشعيرة .

٥- أن الواقع والممارسات الموجودة لا تتفق كما ينبغي مع هذه الأهداف والمقاصد الكبيرة ، بل هناك عناية خاصة بأمور

دون أخرى ، ومن ذلك على سبيل المثال: أن الدعوة إلى الخير، وإشراك الناس في المسؤولية لم تظهر إلا مؤخراً في جهاز الإرشاد بالهيئات، ولا شك أن ذلك أحدث تحولاً كبيراً في مسيرة العمل.

٦- أن فصل الدعوة في جهاز، والهيئة في جهاز قد أضعف أثر هذه الشعيرة؛ لأن الله جمعهما في كتابه.

٧- أننا إذا نظرنا إلى أن الدعاة والخطباء والكتَّاب بما يقومون به من جهود خيِّرة هو من نشر الخير والتحذير من الشر ، نكون بذلك قد وسعنا النظرة، وجعلنا كل هؤلاء من المتعاونين في هذا المجال، وهذا بدوره يخفف من النظرة المتشائمة التي يفكر بها بعضنا.

*** التوصيات :**

هذه الدراسة لامست جزئية معينة وبمنهج معين، فاستكمالاً للموضوع يوصي الباحث من خلال ما سبق بما يأتي:

١- ضرورة دراسة آيات الاحتساب أكثر من مرَّة، ومن أكثر من جهة ، ومن ذلك : مواضع تلك الآيات، والسياقات التي وردت فيها ، وصيغ الكلمات، ودلالتها وتجاورها مع غيرها.

٢- ضرورة دراسة النماذج التطبيقية القرآنية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القرآن ، ففي ذلك إيضاح عملي واقعي لما قام به الأنبياء الكرام والمصلحون قبلنا .

٣- محاولة ربط هذه الشعيرة بالعبادات والأخلاق التي اكتنفت ذكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ بغية الخروج ببرنامج عملي تربوي إيماني للعاملين في هذا الحقل الخيِّر .

المراجع

١. أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات (دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م).

٢. بدائع الفوائد، ابن القيم الجوزية، تحقيق : هشام عبد العزيز عطا - عادل عبد الحميد العدوي - أشرف أحمد الج (مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ط(١)، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م).

٣. التحرير والتنوير، ابن عاشور، (دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس - ١٩٩٧م).

٤. تفسير ابن كثير، لابن كثير، تحقيق: مصطفى السيد محمد - محمد السيد رشاد - محمد فضل العجماوي - علي أحمد عبد الباقي، (مؤسسة قرطبة + مكتبة أولاد الشيخ للتراث، الجيزة، ط(١)، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م).

٥. تفسير أبي السعود، لأبي السعود (دار إحياء التراث العربي، بيروت).

٦. تفسير البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - الشيخ علي محمد معوض،

(دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م).

٧. تفسير الطبري ، لابن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر (مؤسسة الرسالة، الطبعة : الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م).

٨. التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب (دار الفكر العربي، ١٩٩٧م).

٩. التفسير الكبير، الرازي، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م).

١٠. دقائق التفسير، ابن تيمية ، تحقيق د. محمد السيد الجليند (مؤسسة علوم القرآن، دمشق، ١٤٠٤هـ).

١١. شرح النووي على صحيح مسلم، يحيى بن شرف النووي، (دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط(٢)، ١٣٩٢هـ).

١٢. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، (دار طوق النجاة، ط(١)، ١٤٢٢هـ).

١٣. صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، (دار الفكر ، بيروت ١٣٩٨ هـ).

14. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري، تحقيق: عبد الرزاق المهدي (دار إحياء التراث العربي، بيروت).

١٥. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي، تحقيق :عبد السلام عبد الشافي محمد (دار الكتب العلمية، لبنان، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م).

١٦. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية، تحقيق : محمد حامد الفقي، (دار الكتاب العربي، بيروت، ط(٢)، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م).

17. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، تحقيق : عبد الرزاق غالب المهدي (دار الكتب العلمية- بيروت- ١٤١٥ هـ- ١٩٩٥م).

الفهرس

الموضـــــوع	الصفحة
مقدمة:	٥
نظرة عامة حول الآيات:	٩
المقاصد:	٢٣
أولاً: مقصد الاجتماع ونبذ الفرقة.	٢٥
ثانيًا: مقصد إشاعة الخير وتكثيره.	٢٨
ثالثاً: مقصد تحقيق الخيرية.	٣٣
رابعًا: مقصد دفع أسباب العذاب.	٣٥
خامسًا: مقصد دفع الفساد والتقليل منه.	٣٨
سادسًا: مقصد تحقيق الفلاح.	٤٠
سابعًا: مقصد الإعذار عند الله.	٤٣
ثامنًا: مقصد الإنقاذ والتوبة.	٤٦
الوسائل:	٤٩
أولاً: فعل الخير والدعوة إليه.	٥١
ثانيًا: الكلمة الطيبة.	٥٣
ثالثاً: الموعظة الحسنة.	٥٦

رابعاً: الاجتماع والتكاتف. ٥٩
خامساً : تربية المجتمع على تحمل ٦١
المسؤولية. ٦٥
سادساً: التزوّد بالأعمال الصالحة. ٦٧
سابعًا: التحلِّي بالأخلاق الحسنة. ٧١
الخاتمة. ٧٤
التوصيات. ٧٥
المراجع. ٨١
الفهرس.